محمد تزكى

لحظات قطار

روايـة

الطبعة الأولى ديسمبر 2020

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب	لحظات قطار
المؤلف	محمد تزكى
التصنيف	رواية
رقم الإيداع	2152 - 2020
الترقيم الدولى	978-977-6835-66-5
رقم الإصدار	669 الطبعة الأولى 2020
عدد الصفحات	84 صفحة
الإخراج الفنى	مؤسسة النيل والفرات

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رخصة مزاولة مهنة:58365 - سجل تجاري: - 13242 / 2017 - بطاقة ضريبية: 35-01-572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 - 01116202218 - 01202541192 تليفاكس:0205543729O1

nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات

alnilwaalfourat alnilwaalfourat@gmail.com

المقر الرئيسى: ج.م.ع محافظة الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة 13 - أمام مستشفى 13 - مقابل 304

لجنة التحكيم

د محمد فتحى محمد فوزى

كاظم العطشان — سليمة القزيرى

عبد المجيد بطالى — رضا أبو الغيط

د.حمدى عيسى الطيرة — إيهاب همام

مسابقة فارس الإبداع العربى

الدورة 1

مسابقة سنوية برعاية مؤسسة النيل والفرات وجريدة صدى المستقبل

رئيس مجلس إدارة مؤسسة النيل والفرات

ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس إدارة منظمة صدى المستقبل

د.إبراهيم عبد الحميد

المشرف العام

أشرف بدير

المدير العام

د.أمانى إبراهيم

المدير الفنى

سميرة محمودى

رئيس لجنة التحكيم

عبد العزيز بندق

المثالية الجامحة

بقلم
شيخ المثقفين العرب
د. إبراهيم عبد الحميد
رئيس منظمة صدى المستقبل

الكتابة هى المثالية الجامحة التى ولدت من رحم المعاناة الذاتية للمبدع تحوى القيم التى تدور جذورها فى فلك عقله وهى وريثته الشرعية لكينونته الآدمية .. تجمع تأثيرات الحياة الإنسانية وترصد عقلانية نظرته لظواهر الحياة المتنوعة ...فالمبدع الحقيقى يغوص فى أعماق ذاته باحثاًعن إجابة على أسئلة لم تطرح يفهم نشوء وجوده وارهاصات الحياة الاولى وغير ذلك تصبح الكتابة مجرد حفنه كلمات لثرثرة فارغة .

المبدع لا ينتمى

بقلم
الشاعر الناقد
ناجى عبد المنعم
رئيس مؤسسة النيل والفرات

(المبدع لا ينتمى .. وإنما يُنْتمى إليه) انطلقت مسابقة فارس الإبداع العربى من هذه القاعدة لتقدم مبدعا محررا من القيود التقليدية التى تعرقل إبداعاته فنجحت واحتلت المركز الأول عربيا والرابع عشر عالميا لتقدم مبدعا لا إبداعا يستطيع أن يرسم خارطة وطنه بفكر حر دون أية ضغوط تعوقه ، أو رقابة تنال منه ليحقق لقبا خالصا يستحقه عن جدارة هو فارس الإبداع العربى فى نسخته الأولى 2020 مليون مبارك للفائزين

فوز مستحق لمبدع كبير

بقلم الأديب المستشار

أشـرف بـديـر

المشرف العام وأمين عام المهرجانات

لم تكن مسابقة فارس الإبداع العربي التي أقامتها مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع بمصر ومنظمة صدى المستقبل الإعلامية الليبية ، لم تكن مجرد مسابقة أدبية عادية، بل كانت مسابقة أدبية عربية دولية، تنافس فيها أطياف من المبدعين العرب، كل في مجال إبداعه، لذا دنت أعداد المشاركين من الألفي مشارك، وانطبقت معايير المسابقة وشروطها على ما يقرب من سبعمائة مبدع، ثم أفرزت لجان التحكيم من فاز بالمراكز الأولى حتى الثالثة بما يقرب من الخمسين مبدعا في كافة مجالات المسابقة، فضلا عن كونهم من القامات الأدبية العربية السامقة، ذلك ما أهل المسابقة لأن تكون الأولى عربيا وضمن العشر مسابقات دولية في مجال الأدب العربي..لذا ، عندما يفوز أي عمل في تلك المسابقة فإن هذا يؤكد جدارته، حيث مر بعدة مراحل من مراحل المسابقة، فقد مر على لجان المراجعة، ثم على لجان التحكيم، ثم على اللجنة العليا للمسابقة.. من هنا كان هذا العمل الذي بين أيدينا (الفائز بلقب فارس الإبداع العربى) مثارا للفخر للقائمين على المسابقة قبل أن يكون كذلك بالنسبة لمؤلفه، فهنيئا لكم إخوتنا وأخواتنا أساتذتنا المبدعين لهذا الفوز المستحق، ومزيدا من النجاح والتقدم..

لحظات قطار

لكل منا لحظة تمنى فيها أن تقف حياته عندها وألا تبارح مكانها. أن يعيش تلك اللحظة أبد الدهر وأن يتمتع بها سواء كانت لحظة مقابلة حبيب أو رؤية فرد عزيز أو تحقيق انجاز شخصي أو مهني، فتظل تلك اللحظة حتى وإن انتهت ذكرى عزيزة على القلب يتلهف لتكرارها وملتصقة بالبال يحلم بحدوثها مرة أخرى .

لحظة تسمر وذهول، لحظة تتسارع فيها دقات القلب وتلمع فيها العيون، لحظة تنتبه فيها الحواس الخمسة وتستوجب استحضار السادسة منها. في تلك اللحظة تخالجك أحاسيس مختلطة جلها واجمة متوجسة تنتظر إلى ماذا ستؤول إليه الأمور، مع إحساس غريب ينتابك لأول مرة في حياتك فلا تدري ماهيته. لحظة قد تعيشها في أوائل حياتك كما يمكن أن تنتهي حياتك دون اختبارها.

للقطار متعة خاصة لا يعرفها إلا مرتادوه، فهو مرادف للسفر والسمر والاسترخاء والتمتع في بعض الأحيان بروعة القمر رفقة قهوتي السمراء التي لا تفارقني مهما حللت وارتحلت ورواية تحلو معها الرفقة في حال ما استحال علي استعمال الهاتف. رحلتي ابتدأت من محطة الرباط وصولا لمدينة

فاس؛ عاصمة المغرب ثقافيا؛ زالت الثقافة ولا زال الاسم وما عادت تحمل منها سوى التفاهة. لكنها ليست سوى مرحلة عبور نحو محطة وصولي الأخيرة .

بدأت الرحلة متأخرة كعادة قطاراتنا بنصف ساعة عن الموعد المحدد لكن ذلك لم يعكر هدوء رحلتي لحد الآن. صعدت القطار لأجد لنفسي مكانا قرب النافذة علي أغنم فرصة مشاهدة روعة فصل الربيع في أحلى تجلياته على جانبي الطريق وقمم الجبال المخضرة والممتدة على طول الطريق. اخترت مقصورة خالية واستعددت أتم الاستعداد لبدء المغامرة لكن دخولها على حين غرة بعثر لي كل الأوراق. أوراق رحلتي بل وحتى أوراق حياتي المتبعثرة سلفا!

فتحتِ الباب بطريقة هادئة، ألقت تحية هامسة وأخذت مكانا في أقصى المقصورة فصارت مقابلة لي لكن على الجهة الأخرى. بعد مرور لحظات الخجل الثقيلة رفعت عيني لألحظ وجه الفتاة التي سترافق رحلتي وأجيب عن تساؤلي التالي: هل سأتمنى نزولها في المحطة التالية أم أنني سأدعو لتكمل معي حتى النهاية. رفعت عيني فعرفت الجواب ويا ليتني تخليت عن فضولي حينها فما عرفت الجواب.

تالله تمنيت أن تكمل معي الرحلة طيلة حياتي وليس فقط بعض سويعات في قطار مهموم كأنه يرثي حاله علنا نشفق عليه. وجه دائري صاف أبيض كأنه قمر شفاف يتهادى في ثنايا سماء صافي، فصرت أراها ملاكا طاهرا بريئا لم أعهد مقابلته في حياتي اليومية. عيناها عسليتان كبيرتان من شدة بياضهما تهت فتسمرت فخفت أن ينكشف أمري من أول تصادم بيننا، وفي وجنتيها رسمت خدود احمرت خجلا فصارتا وردتان متفتحتان تنبأن بحلول ربيع زاهر في رحلتي. أما ثغرها فأحمر قان كأنه الدم يسيل في مجرى عروقي سريعا عله يستدرك سرعة انتباهي ويقظتي لحظتها. وكانت تضع حجابا يستر شعرها رغم محاولتي استراق النظر لعلي أقف عند شعرة منسدلة. ولحسن حظي فقد لاحظت اثنتين. استنتجت من خلالهما لون شعرها الأسود سواد الليل في شتاء مكفهر. سواد شعرها الحريري جعلني أطيل النظر رغما عني فلم استيقظ من روعة اللحظة إلا على وقع نظرة حادة منها:

"أسف... فخصلة من شعرك ظاهرة للعيان." كانت تلك الجملة التي أنقذتني من إحراج كان سيلازمني طيلة الرحلة.

شكرتني بابتسامة مصطنعة وحال لسانها وتقاسيم وجهها تلعنان الوقت الذي جعلها تمضي رحلتها مع متلصص

مثلي. لم أكثرت كثيرا لردة فعلها كما أني لم أعد مكثرتا لوجودها معي. عدت لروتيني العادي فرحت أرتشف قهوتي السوداء وأقرأ رواية الجريمة والعقاب. طالت لحظة السكون حتى خيمت على المقصورة فصارت كأنها قطار متجه نحو الآخرة ملؤه الموتى تتخلله لحظات حياة بئيسة ليست عبارة إلا عن ارتشاف قطرة ماء أو ضجيج فتح عبوة غازية. حالها صار يذكرني بعذاب القبر وأهوال يوم القيامة. ألقيت عليها نظرة فتذكرت مقطعا صوتيا لشيخ يهلل بأعلى صوته: حرااااام ستدخلون جهنم!!

ترتدي عباءة طويلة لم ألحظها حتى رمقتني بتلك النظرة: مغلفة وأكمامها طويلة تغطيان يديها والهواء الذي يحيط بهما فأصبحا حاجزا لها قبل الآخرين. إن هي أرادت أخذ شيء ما قضت دقائق معهما حتى تعدلهما لتعيد بعد ذلك إسدالهما لتضيع دقائق أخرى في طيهما إن أرادت قضاء حاجة أخرى. يا إلهي ما هذا الملل؟! ألا توجد طريقة أخرى لقضاء الوقت غيرها؟ حينها طفت على السطح الصورة النمطية للفتاة الملتزمة المتزمتة فصرت أراها واضحة أمام عيني وبحضرتي. فمن ثقل الجو وددت لو أن القطار توقف لأنزل وأريح نفسي من هاته اللحظة الثقيلة.

مرت ساعة على بداية السفر واجتزنا محطتين ولم تصل لوجهتها بعد ولا زلنا وحيدين في مقصورة الموت. فضلت حينها التوقف عن القراءة واغتنام فرصة الاستمتاع بالمناظر الربيعية، حينها سمعت نداء ظننته موجها لغيري: "عذرا، أيمكنني استعارة الرواية لدقائق؟ "

أمثلك يقرأ الروايات؟ أ مثلك يعرف وجود الروايات أصلا؟ وحتى إن أكملت قراءة كتب - لا تحزني وشيوخ السلطان- ألم تجدي غير دوستويفسكي والجريمة والعقاب لتبدئي بها؟ أسئلة طرحتها في لمح البصر واختفت كذلك في حينها بعدما انتصبت قامتها نشيطة وارتفع صوتها قويا دون أن تنتظر ردي: لقد أكملت لتوي الإخوة كارامازوف وأريد قراءة رواية أخرى لنفس الكاتب فقد استهوتني طريقته في سرد الأحداث وتدقيقه الخاص في أبسط الجزئيات ودراسته الشاملة العميقة لنفسية الانسان، حقا إن الانسان لهو أعقد مخلوقات الكوكب!

لم أجد لها جوابا فكلماتها أضاعت كلماتي فصرت أخرسا لا أفقه الكلام حتى رأتني عاجزا فاستدركت القول:
- أو لست متفقا مع طرحي؟"
"بلى متفق تمام الاتفاق" قلتها بلهفة المتعطش لسبيل النجاة. حقا إن الانسان لهو أعقد وأغبى مخلوقات هذا الكوكب، فكيف لهذا المخلوق أن يحكم على أحد فقط من خلال منظره، حتى

لأني قد تنبأت لها بمستقبل باهر في بلاط داعش وتبوأت لها منصب حورية الجواري. وبنفس السرعة التي حكمت عليها بالجهل والتخلف احترمت ذكاءها وعلمها وقوة أسلوبها فتحولت مقصورة الموت لمقصورة المعرفة والحياة. هي جملة صدرت منها قد غيرت كل معتقداتي و مفاهيمي بل ونظرتي للمرأة المتحجبة. لها من القدرة ما للأخريات ولها من الحرية مثل ما لهن وعليها مثل ما عليهن. إن أرادت تثقيف نفسها وتوعية وعيها فلن تجد مانعا لها بل ولها من المقدرة ما يجعلها تتفوق على البقية.

سهوت مع نفسي لبضع هنيهات لأسترجع شتات أفكاري الذي تبعثر بينما هي منهمكة في قراءة الرواية بروية كأنها ستجتاز امتحانا فيها عند خط الوصول. تقرأ بتمعن متدبر يوحي أنها تقرأ الصفحة عدة مرات علها تستنبط ما فاتها في القراءات الأولى. بطبيعة الحال هي تقرأ قراءة عادية مثلها مثل باقي البشر لكني أتكلم هنا عما تخيله عقلي الباطني في تلك اللحظة.

أخيرا وجدت طريقا كي أفتتح حوارا معها وإن كان طويلا لأصل إلى غايتي لكن على الأقل ستحاورني إن تكلمنا عن الرواية، خير لي ولها من أن نظل صامتين. وبما أني مهووس بالأدب الروسي فقد وجدت ضالتي في التعبير؛ ننتقد ذاك ونحيي الآخر على أسلوبه، أوصيها بقراءة البعض وتنصحني بالابتعاد عن

البعض الآخر. خلاصة القول أفكارنا متقاربة فيما يخص الأدب وتلك ميزة مشجعة كبداية عرفت عدة متغيرات. وبرغم أن الحديث عن الأدب وغيره عادة ما يكون مملا بل ومكروها خصوصا إن كان بحضرة فتاة بجمالها لكنه بدا لي حينه ممتعا بل وشيقا حتى.

ابتعدنا شيئا فشيئا عن الجدية وبدت البسمة تتخلل أحاديثنا بل وصارت تقطعه تارة ضحكة طويلة منها أو محاولة سكوت مني كي لا أطلق العنان لنفسي التي تعشق بل تعبد روح الدعابة. وجدتها فتاة بسيطة في تفكيرها بعيدة كل البعد عن الجدية والصرامة دون الاخلال بالاحترام. روح مرحة زادتها تألقا وإشعاعا فغدت فتاة أحلامي بكل تفاصيلها ومعاييرها المعقدة. تأملت تفاصيل ملامحها وهي مبتسمة فغاب بالي حتى لاحظت شرود ذهني فسألتني بضحكة بريئة: ما اسمك؟ اجبتها عن اسمي ورددت السؤال فقالت لي اسمها سارة: ما أجمله من إن اسم وما أكثر تواجده في حياتي اليومية.

سكتت لبرهة وفي لحظة برقت عيناها وقالت لي: دعني احكي لك حكاية قد تذهب حيرتك وذهاب عقلك.

بدأتْ بالحديث بينما استسلمتُ لعذوبته محاولا استذكار أقصى ما يمكن لذاكرتي القصيرة تحمله. لحظة بدت لي فيها تتكلم بكل عفوية فأصبحت تنطق بقلبها مخاطبة قلبي دون الاستعانة بوساطة قد تحرف معنى الكلمات وقصدها، فأصغيت لها بكل حواسي لأني شعرت أنها ليست مجرد حكاية. بل هي حكايتها وإن لم تعترف لي بتلك الحقيقة:

" في أحد الدواوير المنسية في بلادنا الجميلة ولدت فتاة كانت السابعة في الترتيب بين أخواتها، والداها وجدا صعوبة في تذكر اسمها فكيف لهما بالأحرى السهر على تربيتها. كان همهما الحصول على شظف العيش الذي يضمن كرامة أبناءهم على الأقل ويقيهم حر التسول. اذن قضت بطلتنا طفولتها بين الجبال بحثا عن حطب التدفئة أو محاولة تجميع الخرفان التي تتيه عن القطيع، تساعد في تخزين المياه، في تجميع المحاصيل، في حرث قطعة الأرض الصغيرة التي تمتلكها العائلة، تساعد حتى في الأوقات التي لا تستدعي مساعدة.

حان وقت تمدرسها فانطلقت رحلتها نحو المجهول، عدة كيلومترات عليها أن تقطعها ذهابا وجيئة دون الإغفال عن

واجباتها المنزلية ذاك شرط الأهل الوحيد لموافقتهما على ضياع وقتها في المدرسة، فمصلحتها تقتضي أن تتقن الأشغال وتعتزل الخارج حتى تظفر بزوج يقضي مهامه في الصحراء أو يحترف الأسواق الأسبوعية. هو كل حلم عائلتها بل وحلم أغلبية بنات دواويرها. أما هي فحلمها أن تدرس وتبلغ أرقى الدرجات تحصيلا ومكانة اجتماعية. لم يكن همها إيجاد زوج فقط رغم براعتها في ذلك المجال، بل كان حلمها أن تلتقي من يجعلها تغرق في الحب ومن يقدر عقلها ووجودها. ذاك كان حلمها في الحياة فسعت لتحقيقه بشتى الوسائل التي أتيحت لها.

نبغت منذ بداية مشوارها بذكائها وفطنتها وصارت حديث الساكنة كلما انتهى العام الدراسي بنتائجها المحققة، بل وصارت قدوة لباقي الآباء في حث أبناءهم على الدراسة حتى وصلت لنهاية الرحلة: المستوى السادس. فالفتيات من الممكن أن يلجن المدارس الابتدائية، لكن الإعدادية منها والثانوية لا تزال محرمة في نظر مجتمع ينظر إلى تمدرس الفتاة على أنه مضيعة للوقت والجهد، بل قلما حظي الفتية بفرصة الرحيل إلى مركز الدواوير لمتابعة دراستهم. هنا حلت اللحظة الفاصلة في حياتها فإما أن تكسر العقدة أم تنسى حلمها وتعيش حياة بئيسة لتفرخ هي الأخرى جيلا جاهلا يضيف هما للمجتمع على هم.

أخيرا وبعد جهد جهيد استطاعت أن تقنع والديها أن يسمحا لها بمتابعة حلمها شريطة عدم إلزامهما بأية مصاريف. تبا كم هي ظالمة الحياة تمنح الثري ترفا على ترف وتحرم الفقير حتى من أبسط أحلامه. هكذا ابتدأت رحلة العذاب بحثا لقمة عيش تسد رمق الجوع عشية وأخد العلم سدا لجوع عقلها النهم صباحا. استطاعت الحصول على عمل بسيط في محل بيع مأكولات تغسل فيه الأواني وتساعد على تقديم طلبات الزبناء مقابل حفنة دراهم. دراهم ساعدتها على تخطي مصاعب حياتها الجديدة وحتى في تحصيل القليل منها لتساعد بها أبويها. فنمت فتاتنا قوية ذات شخصية تستطيع مجابهة الأهوال معتمدة على نفسها ولا تستسلم لأول عقبة سهلة تواجهها. وظلت على حالها حتى أتمت مقامها هنالك والذي توجته بالحصول على الباكالوريا بميزة حسن جدا.

الانتقال نحو العاصمة العلمية لمتابعة الدراسة الجامعية بداية تجربة مختلفة أشد الاختلاف عما سبق. غلاء المعيشة والفرق بين البادية والمدينة أهم مشاغلها. اختارت مدرسة عليا وتخصصت في شعبة تعشقها وهي الفيزياء. مرت السنوات الخمس سريعا لكنها تركت أثرا كبيرا في نفسيتها وعقليتها فقد صارت محبة للأدب وكل ما يمت للغة العربية بصلة. تعمقت في

دينها وتشبعت بمبادئه الأصيلة فصارت تحث الخطى في تطبيق كل ما تؤمن به، أرخت جلبابها وفرضت احترام باقي زملاءها لها. استطاعت الحصول على عمل جيد وأخذت تحمل نفقة عائلتها على حسابها بل وحتى ساعدت باقي إخوتها على المضي قدما في حياتهم. أراها فأحترم فيها رغبتها في تحقيق ذاتها وسط مجتمع ذكوري بحت !! " .

أنهت السرد واستمريت في ذهولي، لم أجرأ على سؤالها عن اسم بطلة القصة أو حتى عن علاقتها بها فقد خفت أن أصدم من الإجابة. لحظة من اللحظات القليلة التي اختبرتها في حياتي: لحظة الاحترام والتقدير لشخص ما. فقد خانتني العبارات حينها فلم أدر بما أتكلم وماذا أقول ولم أعد أشعر سوى بصغر حجمي أمام هول ما قاسته الفتاة الجالسة أمامي إن افترضنا أنها هي المعنية بالقصة. وبعد سكون خيم للحظات بادرتني بسؤال فجائي:

-" أ أحببت الحكاية؟" قالتها بسرعة خاطفة.

-" نعم ، أكيد أحببتها بل و لقد بدأت بتخيل ملامح بطلتها." أجبتها مبتسما.

ضحكت وأجابتني بنبرة سخرية: " بلغ سلامي لها إذن أذا التقيتها صدفة .'
فأجبتها على غفلة: " السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته."

صدمت و لاحظت تغير قسمات ووجها فعادت وجنتاها للاحمرار خجلا و شاحت بعينيها بعيدا عني محاولة ابداء عدم الاهتمام. لكن الأمرين صارا عندي سيان: سواء كانت البطلة أم الراوية فقط.

فرضت علي أن أضعها في مكانة خاصة نظرا لما حملته القصة من أحداث وعبر، فسواء كانت هي حاملة تلك المبادئ أم فقط مبلغة عنها فهي أصيلة قل نظيرها في بنات يومنا هذا. زادتها أخلاقها وأفكارها تألقا وجمالا فما عدت أرى في الوجود غيرها. تهت للحظات في سرب خيالي فقد كنت قد أسست أسرة معها وحظينا بولد وبنت أجمل منا نحن الاثنين، مكان صغير على سفح الجبل بالكاد يتسع لكلينا لكنه جنتنا الصغيرة. وما لبثت في الحلم نائما حتى أيقظتني بصوتها العذب:

- "وأنت. أليست عندك حكاية؟ " قالتها بنشاط منقطع النظير،

فأحسست أنها متحمسة لتعرف أدنى شيء عني فأجبتها: " أتريدينها واقعية أم من وحي الخيال؟" .

-لقد اكتفيت من الواقع و مرارته، و إن كانت من خيالك فأرجو أن تجعل النهاية سعيدة. ما أجمل النهايات السعيدة! أجابتني وأطلقت تنهيدة سريعة.

حسنا فعلتْ بإعطائها لي فرصة الابداع، وحسنا فعلتُ فقد أخذت فرصة التعبير عن كل ما يخالج شعوري نحوها تحت ذريعة تسلسل أحداث القصة، مع علمي وعلمها أنني سأكون محور الأحداث وبطلها لذا كان علي أن أمزج سريعا بين الواقع والخيال في عفوية آنية خالية من كل نفاق أو اصطناع:

"من المحتمل أن يكون أحمقا، و من الممكن جدا أن يكون مغفلا، لكنه لم يمل و لو لحظة في محاولة تتبعها و التقرب منها. لم تكن تملك شيئا يميزها عن باقي بنات عصرها لكنه كان واضحا في اختياره، فهي لم تغب عن باله ولو لحظة واحدة. لذلك لم يستسلم ولم يكف عن المحاولة. في اعتقاده أنهما سيرقصان يوما ما على ضوء قمر خافت تحت أمطار خفيفة تنبئ بحلول فصل الخريف، وعلى وقع موسيقى هادئة تجمع روحيهما

فتنصهران معا حتى تصيرا روحا واحدة تحرص على بقاءهما معا أبد الدهر.

كان ذاك حلمه، حلم بسيط بما أنه يعيش حياة أقل ما يقال عندها أنها كريمة، فقد حقق من قبل حلم الدراسة وحلم العمل وحتى حلم الرقي اجتماعيا فصار محبوبا من طرف الكل بل وصار قبلة لإصدار الفتاوى والنصائح. إلتقاها صدفة في أحد المقاهي فلم تغب عن ناظريه مذ رآها.

جالسة في زاوية مقابلة لمكان جلوسه مما جعلها في مرمى البصر دون أن يحرج إن أراد اختلاس النظر إليها .تخطف الأنظار بجمالها وحضورها الجذاب، وتشد الانتباه بابتسامتها الخفيفة. براءة ظاهرة للعيان ووقار يجعل من يريد التودد إليها يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على عمل أي شيء. كانت تحوز شيئا مميزا لم يعرفه إلى الآن، تخيل حياته معها لوهلة فضحك بشدة من فرط سعادته لكن الأصعب هو القادم، فقد عرف عنه خجله في التعامل مع الفتيات عموما وباللواتي يضعن حدودا على الأخص.

طال مقامه على غير عادته، فهو لا يزيد عن النصف ساعة على الأكثر، لكنه قضى ما يزيد عن الساعتين هناك، لا يفعل شيئا

سوى النظر إلى ملاكه المفقود. استنتج أنها في حضرة رفقة من اصدقاءها نظرا لطبيعة الحركات التي كانت طاغية على مجمعهم. فطريقة حديثهم ونظراتهم وحتى حركات أيديهم تدل على شيء واحد، أنهم مجرد أصدقاء لا أكثر. انتظر فرصة الانفراد بها وانتظر حتى طال انتظاره فبدت عليه علامات الاستسلام والاقرار بعجزه عن فعل شيء يقرب المسافات بينهم، فحتى نظراتها كانت محبطة بالنسبة إليه. تجاهل تام جعله يحس كأنه صار خفيا لا يلحظ وجوده أحد لكنه تريث قليلا بما أن الجماعة لم تغادر بعد.

مرت ساعتان ونصف عن جلوسه وبدأ يحس بالقليل من الإحراج نظرا لطول المقام، فقام بطلب قهوة سوداء أخرى تقيه حر الجلوس متطفلا وتشفي غليلا قد بدأ بالاحتراق داخله. ارتشف رشفتين على مهل حتى وقف منتصبا على حين غرة، فقد شاهد خلو المكان من أصحابها فصارت اللحظة المناسبة لانتهاز فرصته الوحيدة والأخيرة. خطا نحوها ثابتا وعندما اقترب منها منحته ورقة ملفوفة بعناية فتسمر في مكانه من صدمته فلم يفق إلا وهي تأمره بالانصراف سريعا. لم يتردد في الانصراف من المكان كله فأسرع متجها نحو منزله لأخذ حمام ساخن عله يفيق من دهشة ما حدث. فعقله قد تخيل جميع السيناريوهات المحتملة وإن كانت سيئة في أغلبها لكن حتى المتفائلة منها لم تستطع

تخمين ما حدث. فقد كانت هي المبادرة بإعطائه ورقة نسي أن يفتحها حتى الآن!

فتحها فوجد عبارة كتبت بخط عريض: انتظرك الأسبوع المقبل في نفس المكان وفي نفس التوقيت!

لماذا كل هذا العذاب ولماذا كل هذا التظاهر بالعفة!؟ لماذا لم تكتب اسمها ورقم هاتفها بكل بساطة؟ أمن الضروري أن تلعب معي لعبة لا أعرف قوانينها وأجهل أهدافها؟ وإن كانت لا تريد مكالمتي؟ فكيف لها أن تبادرني هي؟ وكيف عرفت أني قادم إليها لا محالة؟ وما الذي يجعلها متيقنة أنني سألبي طلبها؟ أليس لي من شغل شاغل سواها؟ أمدة الثلاث ساعات التي قضيتها متسمرا أمامك لم ترض غرورك ولم تشبع رغباتك؟ أسئلة انهمرت عليه مع انهمار أول قطرة على رأسه، فصار مهموما يحمل ثقلا لا يقدر على تحمله. سطر واحد عبث بحياته فجعلها رأسا على عقب .

مرت أيام الأسبوع ثقيلة، انتظر حلول اليوم الموعود انتظار الراسب أعواما للنتيجة فصار كلما قرب الموعد وإلا زاد توتره وغلبت عليه عصبيته وهو المعروف ببرودة أعصابه وكيف لا والموعد المنتظر. هو موعد من روح سكنت باله فصار يتخيلها

في طريقه للعمل، في طريق العودة وفي لحظات تواجده مع أصدقاءه، أما في الليل فقد كانت رفيقة أحلامه وبطلة قصصه الرومانسية.

حلت اللحظة المنتظرة وحل في المقهى مرتديا أبهى حلة، حل في الوقت المحدد وأخذ مكانه المعتاد وانتظر مجيئها وحيدة يترقب تحقيق انتظاراته التي طالما حلم بها. تخيل منظر ضحكاتها على نكاته وتعليقها على تسريحة شعره، بل تخيل حتى عتابها له على اختيار اللون الأسود في أول موعد لهما. لكن لا شيء حدث لحد الآن فهي لم تظهر لحد الساعة وقد مر وقت ليس باليسير. دخلت متجاهلة وجوده ولحق بها باقي أعضاء المجموعة ومرت اللحظات مملة كالمرة السابقة. صارت وحيدة مرة أخرى فقصد مكان تواجدها فناولته ورقة مرة أخرى!!

خرج فرحا لأنه كان متيقنا أنها تحمل طريقة الوصول إليها لكنه لم يجد غير جملة واحدة: أنتظرك الأسبوع المقبل في نفس المكان وفي نفس التوقيت.

استسلم لضحكة هستيرية أخذته منذ قراءته لتلك الرسالة، شتم نفسه وشتمها ولعن صاحب القهوة الذي صار حسب رأيه سبب

تعاسته، لعن الدنيا ولعن الجميع ولعن تفكيره الذي لا ينفك يذكره بحضورها فيه. لعن حتى سئم وتعب فخلد إلى النوم محاولا التملص من التفكير فيما حدث.

حانت لحظة ميعادهما الأسبوعي، فحلف يمينا أنه لن يسايرها مجددا. فهو ليس أهلا لتحمل مثل هاته التفاهات، يكفيه ما ضاع من وقته محاولا التقرب منها. لكن ما إن حانت لحظة الصفر حتى عاد لما صار عادته المقدسة: عشية الاثنين يقضيها مقابلا لها ينتظر انصراف الحواجز ليأخذ ورقة حضوره، مرت الأسابيع سريعة حتى وصل عده للأسبوع الثالث عشر، فهو لم ينس يوما يومهما الأول. وما كان يفتح الورقة هاته المرة حتى تفاجأ لغياب الأحرف عنها ولم تكن تحمل سوى عشرة أرقام. أرقام هاتفها.

لم يستطع انتظار انصرافها عن الرفقة فكالمها مباشرة فلما أجابته بالسلام قال لها جملة واحدة:
" ولو أخذ الأمر مني حياتي كلها ما استسلمت عن المحاولة"
وأطفأ الهاتف.

بعدها أحس بهدوء وسكينة لم يعهدهما فكأن النار التي كانت بداخله قد أخمدت من مهدها، وصار يتجول فرحا برباطة جأشه وعدم انصياعه وراء أهواء قلبه. أخيرا تحكمت كرامته في اتخاذ

القرار فصارت قاضيا يفرض أحقيته أمام الرغبة الشديدة والفرحة العارمة. أحس أنه بتصرفه هذا قد حول الكم الهائل الذي كان يتملكه من الحيرة والريبة طيلة الأسابيع الماضية لتلازمها هي عوضه. فقد تخيل منظرها وهو يقفل السماعة في وجهها، بالتأكيد لن تفهم شيئا!! فقد أمضى أسابيع طويلة متمنيا فقط همسة منها فإذا به حينما تتاح له الفرصة يمتنع عن محادثتها. هو فعلا فعل أحمق.

مرت سويعات قليلة قبل أن تتملكه رغبة شديدة في معرفة ردة فعلها فأشعل هاتفه، ولم تمض سوى لحظات قليلة قبل أن يرن من طرفها مجددا. لم يستعد بعد ولم يقرر أيجيبها أم يتركها في حيرتها؟ ضغط على الزر الأخضر دون وعي فسمع صوتها مجددا: "ألووو؟"

تشجع فأجابها محييا، فردت عليه بانفعال:

- قمت بأكثر من 20 محاولة اتصال؟ ماذا حدث لك وما الذي دهاك؟

جملة أطفأت شرارة غضبه وأرضت غرور كبرياءه المريض فقرر التوقف عن اللعب:

- أسف، أردت معرفة مدى اصرارك وهل يضاهي اصراري؟

أجابته بصوت ضاحك: تالله رغبتي لأكبر من طموحك منذ أول لحظة. أردت اختبار مدى جديتك ومدى تحملك لطيشي.

أجابها منفعلا: طيشك هذا قد استغرق أسابيع من وقتي، وألما عميقا يصعب شفاءه لأعوام.

ردت عليه مقاطعة: تجهل ما ينتظرك يا حبيبي، تلك البداية فقط، أما طيشي فمتأكدة انه سيأخذ منك حياة بأكملها!

صمت لبرهة فأجابها بنبرة متيقنة: طيشك هو منبع الحياة، فقد أعادني طيشك الأصغر للوجود، أما الأكبر فسينقلني للجنة بالتأكيد.

- بل سيرسلك لمستشفى المجانين!! أجابته إجابة صارمة .

انتهت المكالمة على وقع المغازلة ومحاولة معرفة أقصى ما يمكن معرفته عن الآخر. فلم تنته حتى وجدا نفسيهما يجيدان معرفة بعضهما، فقد كان حبل الود ممدودا بينهما، تفاعل تام بينهما ومتعة في الحديث جعلتهما ينسيان بعضيهما وما حولهما فصارا روحا واحدة منذ تلك الليلة."

طال صمتي مع ازدياد حيرتها وانتظارها للتتمة، حتى سألتني بنبرة حادة: انتهيت؟ بهذه السرعة؟ و أين البقية؟ أردتِ نهاية سعيدة فكان لكِ ذلك. أجبتها ببرودة.

ساد صمت سادي عربتنا فصرنا غرباء مرة أخرى. هي لحظة ثقيلة خصوصا بعد لحظات سعيدة مرت سريعة. ظهر الغضب على ملامحها حيث أنها كانت تتوقع مزيدا من الأحداث المشوقة مع حتمية سعادة النهاية، لكنها لا تعلم أنه لا إثارة في الإطالة خصوصا إن كانت الخاتمة مثالية. فالإنسان بطبعه يفضل أن يسمع نحيبا على أن يرى ابتسامة. هو حقد طبيعي بداخلنا شئنا أم أبينا ونرجسية طبيعية تطغى مهما وصل إيثارنا للغير، فأن تحس بالشفقة خير أن تحس بالغيرة لذا انتهت القصة بانتهاء المأساة والدراما!! ألا تستطيعين إدراك ذلك؟

على فكرة، أظنها قصة حقيقية. قالتها بخفة واستدارت ناحية النافذة مولية لي ظهرها، فلما هممت بالرد عجزت عن ذلك. لم أجبها بل بقيت متسمرا انتظر لحظة تواجه نظراتنا وبعد طول انتظار استدارت ناحيتي فباغتتها بردي قبل أن تستطيع صده:

-هي فعلا حقيقية في جزءها الأخير فقط.

-كيف ذلك ؟ أجابتني متسائلة .
-أردت نهاية سعيدة ، منحتك نهاية قصة زواج ابتدأ بيوم قبله ، و انتهى مع انتهاء العمر. هي حقا نعم النهاية السعيدة !!

بدأت تشرح لي موقفها من الحب طواعية فقصصت علي تجربتها الوحيدة والتي انتهت قبل أن تبدأ، فقد حاول التقرب منها طمعا في لذة عابرة فنهرته فقررا الافتراق. ذنبها أنها في أول محاولة لإزالة الحواجز وجدت من زاد الهوة اتساعا فانعدمت ثقتها في الرجال وتركت أمر قلبها لمن سيوقع عقد قرانهما. لكنها كانت مؤمنة أنه سيكون فارسها الذي طالما تخيلته. بل وصار رفيقها في حياتها اليومية هي أيضا فلم يعد ينقصها سوى فرصة الالتقاء به حقيقة. في قلبها مشاعر جمة تخبئها له منتظرة قدومه لتمنحه كل الحب بل أكثر من الحب نفسه. وجدت فتاة وإن ظهرت صلبة فهي حساسة من داخلها وبمجرد كلمة قد أجعلها تفيض حبا وحنانا.

سألتني عن وجهة نظري فأجبتها مسرعا: إن وجدتُ فتاتي المنشودة فسأتزوجها في نفس اليوم، فعندما سأحس بقربي منها فلن أستطيع أن أفارقها ولو لحظة. أشعر أنني قد أعقد قراني في مصعد عمارة مجهولة أو ربما متكأ على كرسي قهوة بال أو

حتى في عربة قطار بنية متهرئة. قلتها بنبرة استهزاء مع أني قد عنيتها أتم المعنى .
-أ و ترضى أية فتاة لنفسها أن تعقد قرانها في عربة قطار ؟ يال الذل! أجابتني بلهجة متهكمة .

أمضينا باقي الرحلة بالكلام المتنوع وسرد كل طرف للآخر قصة حياته الحقيقية، زاد حينها احترامي لها وزاد إعجابي بشخصيتها، أما هي فقد صارت منتبهة لأقل كلامي وأتفهه. صرت أعرف عنها أصغر الأشياء وصارت تشاركني كل همومي الآنية. انصهرنا حتى نسينا أو تناسينا عمدا مرور الوقت خوفا من وداع مرتقب دون معرفة مصيرنا. هي لحظة الخوف من اتخاذ قرار قبل نهاية الرحلة.

شارف القطار على الوصول لنهايته واقتربت لحظات الوداع، تلك اللحظات الوحيدة في الحياة التي لا أقدر على توقع مآلها، فالإنسان حينها يستسلم لمشاعره فلا يعود للعقل تواجد ولا يبقى لكلمته سلطان. هو القلب وحده من يأمر وينهى بما يحب ويأمر. لحسن حظنا أننا أنهينا مسار القطار معا فذلك أعطانا وقتا اضافيا في الرحلة وسمح لي بمرافقتها حتى خارج المحطة .

وصل القطار إلى وجهته وبدأ المسافرون بالاستعداد للنزول

فنهاية الرحلة قد حانت، ولحظة الوداع آتية لا ريب. لعلها أبغض اللحظات إلى قلبي فحينها يتوقف عقلي لأترك نفسي رهين الارتجال، ارتجال ينقذني في أحايين كثيرة لكنه يحرجني في معظم اللحظات المهمة .

حين تفارق أحدا وأنت مطمئن أنك ستلاقيه يكون الفراق هينا، لكن لوعة الفراق في استحالة إعادته أو في جهل المصير بعده. فالأمل هو دواء البعد وإن طال، واليقين التام هو سر الاطمئنان لذا قررت في لحظة فارقة أنني سأتشجع وسأطلب منها العنوان ورقم هاتفها لأظل على تواصل معها، فهي فتاتي المنشودة على كل حال.

بدأت في إنزال حقائبها فهممتُ مساعدا لها، انتهينا من جمع الحقائب وإيصالها لباب القطار، نظراتها متوجهة للأسفل كأنها تريد تحاشي نظراتي ما أمكن، لكني أحسست برعشة في يديها حينما التصقتا عفويا وسط صخب النزول. حرصت عليها أشد الحرص فصرت كحارس شخصي يمنع البقية من الاقتراب من جوهرته، جوهرته المفقودة.

صرنا في بهاء المحطة فقل الهرج وحل السكون بعد العاصفة

ولا زالت متوترة لا تستطيع النظر إلي مباشرة، وحتى إن اضطرت للتكلم معي فعلت ذلك خلسة كأن حجابا يفصل بيننا وبسرعة كأنها تتفادى إحراجا ما. تركتها على سجيتها ولم أزدها إحراجا فرافقتها صامتا حتى محطة التاكسيات. لحظات مرت مريرة ثقيلة وددت لو أن الأرض ابتلعتني قبل أن أعايشها، فزادت من توتري وأفقدتني رباطة جأشي فصرت أتفادى أيضا أي إحراج محتمل. ابتلعت جل ما كان في مكنوني فصرت اخرسا لا يعقل ولا يفقه، يرى ولا يسمع، يلتفت بدون وعي وبدون أية مناسبة.

اتجهت مسرعة نحو أقرب سيارة. - أباهته السرعة صرتِ تفضلين فراقي؟ -لا داعي للتفكير كثيرا في لحظات وإن ثَقُلَتْ علي فلن تزيد عن بضع هنيهات سأسترجع بعدها شتاتي. حملت الحقائب خلف العربة وتقدمت لتسلم علي، مثقلة الخطى ومثقلة التفكير أيضا :

-شكرا لك على الرحلة الممتعة !! قالتها بجفاء واضح.

-لا داعي للشكر ، فما فعلته معك سأفعله مع غيرك !! أجبتها بوقاحة متأدبة.

بدأت ألمح احتقان عينها وتأثرها البالغ بقداحة إجابتي فردت علي مسرعة :

-مع السلامة !! نلتقي في فرصة سعيدة.. مدت بعدها يدها نحوي لتسلم علي فتركتها ممدودة وأجبتها بنبرة مستهزئة :

-لقد خسرت الفرصة بمجرد رفضك لفكرة عقد قرانك في قطار لأنه ذل. ولا أرضى لك بذلك الكم من الذل حقيقة.

صدمتها الإجابة فصار احتقان العيون دموعا أرادت إخفاءها عن بمحاولة النظر لأعلى وأسفل فلم يساعدها تفكيرها بشيء. نزلت الدمعة الأولى سريعا على خذها فتبعتها رفيقاتها حتى انهمر نهرا لم ينحبس. أما أنا فوقفت عاجزا، أردت الرحيل والهروب فلم استطع لذلك رجاء. أنا من جعلت الموقف سيئا و أنا الذي يتوجب علي إصلاحه، لكني لم أفعل شيئا سوى تكرار كلامها. أ لهاته الدرجة تجرحنا كلماتنا إن أعيدت لنا من طرف آخر؟

بدأ السائق بالمناداة عليها فالركب قد اكتمل، وبينما بدأت تمسح ما استطاعت من دمعها متوجهة نحو العربة أمسكت يديها بقوة عجيبة لم أعرف لحد الآن كيف تلبستني:

-أتستطيعين عقد قرانك في محطة التاكسيات ؟ أهي ذل كالقطار؟ قلتها متبسما فكان لها مفعول السحر على من فقد الأمل .

لم تجبني وبقيت متسمرة في مكانها، فلا هي تحركت نحو العربة ولا هي استدارت نحوي. تجمدت في مكانها لكن الدمع لم يتجمد، فحرارته كانت أقوى من أن تطفئه برودة. وظل الدمع منهمرا ولا زالت الأعين مشدودة نحو الأسفل .

اتجهتُ مسرعا نحو السائق لأفرغ حقائبها بسرعة قبل أن تعي ما يحدث وأمرته معتذرا بالانصراف. حينما انطلق حينها استعادت الحياة فنهرتني صارخة:
-ماذا فعلت ؟ سأتأخر عن موعد الوصول لمسكن والدي!! أ أنت أحمق؟

-أجبتها ببرودة : لا داعي للعجلة ، فمهما تأخرنا سنصل معا في النهاية!!

تفاجأت بردي ولم تجبني، بقيت واجمة أخذت في الارتجال فلمحت سلكا حديديا ملقى على حافة الطريق فصنعت منه خاتما

مثيرا للشفقة، تقدمت لها وهمست لها في أذنها: أتقبلين الزواج مني في هذا المكان؟

انحبس الدمع فجأة وانطلقت مكانه بسمة ابتدأت محتشمة حتى عمت باقي ثغرها الصغير :

-نعم ، نعم ... نعم تالله سأقبل بك حتى و إن تقدمت لي وسط عربة نقل البضائع. واغرورقت بعدها عيناها بدموع لا زلت أتذكرها لحد الآن وأعلم أني لن أراها في عينيها مرة أخرى. لحظات السعادة القصوى التي لا تنسى ما طال المقام في هاته الحياة، لحظات تعيش عليها طوال حياتك فتصبح ذكرى تشدك في لحظات الضعف وقلة التواصل نحو الحبيب. تعلم حينها أن ذلك الشخص فعلا يحبك ويعشقك بكل جوارحه.

انتهت لحظات قطاري بإعادة ترتيب لحظات حياتي، فصارت لقطات معادة من سعادة غامرة ومرارة جميلة نعيشها بتحمل وتهكم فتصير سعادة هي الأخرى، لحظات اكتملت بلقاء بسارة وابتدأت مع ولادة إسراء.

كم هي جميلة الحياة حينما نكمل مشوارها مع من يفهمنا حقا !!

خربشات مسائية

أتوجه لكِ بالحديث يا صديقتي المفضلة فأقول لك أن كل واحد يريد الإيمان بشيء ما في قرارة نفسه ويريد أن يكون محبوبا من أحدهم. أن تعيش بلا إيمان فكأنك تعيش في حلقة مفرغة، أما ألا يحبك أحد ما فمعنى ذلك أنك ستموت وحيدا.

أتعلمين عزيزتي أن أغلى أمنياتي مجرد الحديث معك بكل عفوية. عفوية افتقدتها مذ فقدتك. فما قيمة باقي الأمنيات أمام إكمال الحياة مع من قد تجعل الثقافة موضوعا يستحق الاهتمام، بل ومنبعا خصبا للبسمة والاستجمام. آمل أنكِ تستحضرين باقي القصة.

صديقتي الحلوة، إعلمي أنك أنت إيماني الوحيد، إيماني أن هاته الدنيا لا تستحق العيش سوى بحضورك فيها ولعب دور البطولة، قد عشت لحظات من قبل معك وإن كانت قصيرة لكني أتمنى دوامها ما طال النَّفَسُ وما زال كلانا على قيد الحياة. وإن كنت تستمعين لقولي بتمعن فخدي مني خلاصة القول : سأحجز مقعدين في مكاننا المعتاد ، و سأطلب مشروبك المفضل و سأظل أنتظرك من التاسعة حتى الحادية عشر ، و ستتعللين مثلما كنت

تفعلين دائما بالمواصلات. ستجدينني قد أكملت قهوتي السوداء لكن صبر انتظاري لا زال قائما. وأعدك أنني سأحقق حلمك وعلى ضوء القمر سنرقص معا يوما ما"

أعلم يا صديقتي الحلوة أنكِ ستجيبينني عندما تقرئين كلماتي بجملة واحدة :

لا روح بلا إيمان، ولا إيمان لي سوى بك

أخاف عزيزتي أن أسقط في فخ التكرار، تكرار الأفكار والكلمات وحتى التجارب السابقة. لكني لست خائفا من اختراق كل الحواجز فقط للحصول عليك. قد أخترق عينيك للوصول إلى قلبكِ إن تطلب الأمر، قد أجري حافيا وسط الشارع أملا في لفت انتباهك أو قد أموت في التواجد معكِ بكل بساطة. فالحياة في بُعدكِ موت والموت أهون، والموت بقربكِ أحَّنُ وأرحَم.

أتصدقينني إن قلتُ لكِ أنني أتخيلكِ تردين على كلامي بفزع لعلمي بمدى كرهك للموت وحبك للحياة قائلة:

"لا تفزع يا حبيبي ... فالحياة معي نعمة و الموت أبعدْ ... سنحيا معا حياة يكرهها الموتُ و لها يبغضْ ... ستحبني في كل دقيقة حبَّكَ للحياة و بكِ سأتغنى و سأسعدْ ... ومن كان له شخص مثلي في حياته فليهنأ و ليسبحِ الله و ليحمدْ .

خربشة على السريع

أراكِ تمسكينَ القرآن وترتلينه بتخشع؛ وأراكِ تبتذلين الكلام وتصدحينَ بأقبحه.

أراكِ تضحكينَ وتمرحينَ كطفلة سعيدة؛ وأراكِ عابسة مكشرةَ الملامح.

أراكِ ترتدينَ الأبيضَ وتسترينَ كل ما ظهرَ من جسدكِ؛ وأراكِ تعرضينَ جميلَ شعركِ وعظامَ رقبتكِ المنحوتة.

أراكِ تتدلعينَ في الحديثِ وعذوبةَ لحنِ صوتكِ؛ وأراكِ تتمنعينَ وتكثرينَ الحصون.

أراكِ ملاكا طاهرا قد افتقدَ سماؤهُ المعهودة؛ وأراكِ شيطانا ماردا يتملك الفرد فلا يستطيع منه النجاة.

أراكِ فأرى تناقض الأنثى؛ وأراكِ فأرى الحياة.

احك يا شهريار

في كل ليلة تطربني كلماتي بشيء جميل. هي نغماتي وعلى إيقاعها ينتظمُ نبضي عندما يضيعُ قلبي في وحدتهِ البئيس.

حينما أحتاجها أجدُها سريعةَ الردِ حاضرةَ البديهةِ، تعلمُ ما بي فتغيرُ المفاتيحَ وتطلقُ العنانَ لسيلها المنهمر بكل عفوية وانسيابية. تتحاشى ما أريدُ غضَّ الطرفِ عنه وتبعِدُ عني أدنى شبهة، تبدأ بعنوان مجهول وتنتهي بالتغزل بفتاة مجهولة، تلبسُ أحيانا مشاعر مجهولة.

إن تكلمَ شهريارُ بلسان حالهِ لَلامَه الجميع، ولو تحدثَ بشخصيتهِ لعانيتمُ الملَ مثله، فالاستماعُ في زمن التفاهةِ متعةٌ لا يدركها إلا القليل. صمتٌ مع الاكتفاء بالملاحظة والتأمل. كلماتي قد جعلت مما حولها معينا لا ينضب، معينٌ يستمدُ صبيبَهُ من شخصية شهريار الحقيقية.

وعلى كل فعندما تختارُ جانبَ المتفرجِ فإنكَ تتفادى فرصة الوقوع في الخطأِ في زمن قد كثرَ فيه المحدثون والمنظرونْ.

ويكفيكمْ أن القلبَ قد اختارَ القلمَ فأخرسَ شهريار وأمرَه بإصدار أمر أخير فقال :

"احكِ يا شهرزاد" !! :

«مَلَّ شهريارُ من حكايا شهرزاد وشَعَرَ بالضجر، قررَ الاختلاءَ بنفسه ريثما يهتدي لحل أمرِ ضيقٍ خاطره فطلب منها التوقف عن الحديث والرجوع لغرفتها إلى أن يقضي الله أمره المكتوب.

قضى شهريار الليلة لوحده في غرفته فتذكر أن له شعبا يحكمه ورعيةً يأخذُ بيدها، أفضتْ له نفسه أن الأمور ليست على ما يرام رغم محاولات التلميع الفاشلة من المحيطين به فعزم على استكشاف الأمور بنفسه.

اعتزل شهريار المحيطين به وتنكر في زي مواطن بسيط، اختلط بالعامة وعمَّر الأسواق والحانات وافترش أبواب الجوامع، استقصى الداني والبعيد واستجمع الأحوال من أنذل الناس واتخذ من العاهرات رفقةً إلى أن اهتدى إلى ما آلت إليه أحوال الجميع.

الزوجاتُ في البيوت يشكينَ غياب الأزواج والأزواجُ يقتفون أَثَرَ زعيمهم المزعوم. النساءُ وأدهنُ أرحمُ من تواجدهن في عرش مملكتهِ والرجال مجرد أسماءٍ ولا وجود للصفاتِ إلا في الكلام المعسول. اختفى الحبُ وتفشى النصبُ والاحتيال وانعدمت المروءة في الذكور واضمحلَ الحياءُ بين أوساط الإناثِ وعادت

الشهامةُ والوفاء صفة غير مستحبة على الإطلاق. الرجال لا هم لهم سوى الإيقاع بأكثر عدد من الإناث والإناثُ لا يبدينَ أي تمنعٍ أو عناد.

ليس الذنب ذنبهم فما اتبعوا إلا أفعالَ ملكهم، كيف لا وهو الذي لم يمض في حياته أكثر من ليلة مع نفس المرأة. أ توفي الرعيةُ لواحد وهو المتعددُ في كل الليالي حتى صار التفاخر بالعدد تقليدا سنويا في مملكته؟! أ يحبُ أحدهم الروحَ وهو الذي يلهثُ كل ليلة وراءَ غشاء جديد؟! أ ليسَ من الواجب اتباعُ القائد ومحاباته في أفعاله ومحاولة الوصول إليه عن طريقها؛ أم أن لياليه المعسولة أنستهُ أنه سيرى يوما جزاءَ أفعالهِ فيمن اتبعوا أهواءهم نيلا لرضى أهواء سيدهم؟! أينكِ يا شهرزادُ فالدماغُ لم يعدْ يستحملُ مزيدا من الأسئلة والتفكير!!

أمرَ شهريارُ أنْ يتزوجَ شهرزادَ دونَ أن يقضي منها وطراً وأن تقضي ما تبقى من عمرها في قراءةِ القرآن واعتزالِ الناسِ رغبةً منهُ أن تنهيَ حياتهَا عذراء، وأصدرَ مرسوما ساميا ن الزواجَ من واحدة فرضُ عينٍ على كل من بلغَ سنَ الزواج ..

وعاش الجميعُ في سعادة غامرة إلا شهريار !"

خربشات ليلية

في القلب غصةٌ لم يجرؤ قلمي يوما على محاذاتها أو حتى مجرد التفكير في الاقتراب منها.. لطالما سرح قلمي في نبش الخيال لكي يرسم دائما أجمل الخواطر وأقرب الخربشات إلى القلب. لم أكتب يوما عن نفسي شيئا لاعتقادي أن الانسان بطبعه يميلُ إلى الشفقة عوض المواساة ويحبُ أن يسمع مآسيكَ لا انتصاراتك.. لم أختر يوما قلبي موضوعَ حديثٍ أو بطلَ روايةٍ كنتُ دائم التقمصِ لشخصيات حولي مع إضافة بعضٍ من توابلي الخاصة، لكني اليومَ قد قررتُ أن أفصح لكم بعضا مما لم يعد قلبي الصغيرُ يتحمله.

إن وصفتها لكم فحتما ستعرفونها لذلك فلا داعي للوصف الآن. ما أستطيعُ البوح به من تفاصيلَ أنها قمرٌ منيرٍ بحمرة متوردةٍ على الخدود. أن تنظُرَ للشمسِ في وضح النهار فلا تعاني من احتراق العينِ تلكَ كانتْ نظرتي الأولى لها!! جميلة في بساطتها وبراءتها وكذا في طفوليتها قد أرجعتني حينها طفلا يافعا فلم أسكتْ عن الحديثِ منذ أن بادرتني إليه .عذوبةُ صوتها وحلاوةُ نغمتها لا زالتا عالقتين في طبلة أذني قد صارتا منبها لي في

لحظات السهو الكثيرة . أما حركتيها ونشاطها فقد دبّا في جسمي الروحَ حتى غار من فرطِ صبيانيَّتها فجاراها في اللهو باستمتاع. كفى حديثا عنها فقد اشتاق القلبُ لابتسامتها الخجولة.

لا أدري في أي موضعٍ يبيتُ قلبي الآن وبكل تأكيد لا أدري إلى أين سيأخذني المقام مستقبلا، لكني أعلمُ أن قلبي فيما مضى قد سَكَنَ واستأمنَ فَأَمِنْ رغمَ التعبِ والوهَن :

نظرة مِنْكِ لِي في شروقٍ غابِر

أَحْدَثَتْ فِي قلبي جُرْحًا غَائِر

لمْ أَدرِي ما أقولُ وما العمل

فنظراتكِ جَعَلَتْنِي إنسانا حَائِر.

باغَتَتْني بِهذا الجمال

منتهى الحسنِ والكمال

زمردة وسط الأحجار والرمال

إليها طار العقلُ وشَدَّ الرِّحَال.

وجهُهَا قمرٌ زَاهِر

شعرُها حرِيرٌ فَاتِر

عيناها صفاءٌ وبراءة

قِوامُها مشدودٌ باهر.

لُؤلؤةٌ غُرّةٌ مُتَوَهِّجَة

أسَارِيرُهَا مُنْفَرِجَة

حورية فريدةٌ بجمالها.

رغم أنَّهَا ليست مُتَبَرِّجَة.

أقنعتُ نَفْسِي بضرورةِ أن أُكَلِّمَهَا

عما يجُولُ في خاطري وأُعْلِمَهَا

فلا قدرةَ لِي على تَحَمُّلِ مَشَاقِّ بُعْدِي

عنْ مَنْ أخذَتْ قلبي وروحي مَعَهَا.

بدأْتُ أخطو الخطوات

أتقدَّمُ مَرَّة، وأرْجِعُ مَرَّات

أين ذهبتْ رَباطَةُ جَأْشِي؟!!

لقد ضاعَتْ بين التَّأَمُّلِ والآهَات.

تَباً ليس هنالكَ سبِيلٌ للرُّجوع

فأنا انسان بطبعه عدمُ الخضوع

لن أهابَ جمالها وحُسْنَها رغمَ أنه

قد أعودُ خالِيَ الوِفاضِ بِقَلْبٍ مفجوع.

ها أندا بالقربِ من ملاكي

على شَفَى خطوة من هلاكي

أخيرا.. كلمتها فقلت لها:

أعذريني يا سيدتي عن وقاحتي
فمن شدة جمالك فقدت عقلي ووجاهتي
أتراك تؤمنين بالحب من أول نظرة؟؟
فقد غيرت أفكاري واستأثرت بقناعتي.

سكتت، حتى خفتُ من الجواب
فلربما قد توصدُ في وجهي الأبواب
من شدة ما قلت وصرحت لها
من شدة ما بحت لها من اعجاب.

انتظرتْ لحظةً وقالت لي:
يا هذا ما عهدت الاعجاب من أول نظرة
يا هذا أنا لا أعرف عنكَ أيَ شيء
لكني أعرف أن شجرة الحب أولها بذرة
وبشجاعتك تلك قد زرعتها

ورويتها بدمك قطرة قطرة

لكني أفضل أن نبقى أصدقاء

حينها سنجمعُ الحب

مع الصداقة والإخاء

سأكون بئر الأسرار

سأحكي لكَ قصصا عنِ الأشرار

سأجرب معكَ كل ما أريده

دون مراعاة لأي أضرار

لكن لا تنسى يا صدقي العزيز

أننا ننتمي دوما للقوم الأخيار.

قصة على السريع

"إلى اللقاء إن كان مقدرا "

كانت تلك آخر جملة تخرجُ من فمهِ قاصدا بها حبيبة قلبه التي ودعها للتو.

مرت سنوات طوال حتى تمكنَّ النسيان منهما معاً. مرت ثلاث سنوات بالتمام والكمال عن آخر لقاء بينهما كانت كفيلة أن ينسى الذكرى ويمحوها من شريط مخيلته فإذا بالقدر يستغيثُ بلعبتهُ المفضلة. جمعَهما عرسُ صديقٍ قديم قد دخل عش الزوجية برفيقة دراسته الثانوية. كانا لا يتفارقان وكانتا لا تتفارقان لكن النصفَ قد استمرَ والنصف الآخرُ قد مات في ريعان شبابه.

لم يكترث أحد منهما للآخر في بداية الحفلة نظرا لموت كلاهما في حياة الآخر كما أن الانتباه كان مشدوها نحو العريس وعروسه، وضخامةُ البداية أعمت البصائرَ وجعلت الأنظار تتجهُ نحوها.

وحينما خفتَ بريقُ البداية وانطفئتْ روعتها بدأ بملاحظةِ الحشد الحاضر من الطرف الآخر. أغلب الوجوه مألوفة بحكم قوة

الصداقة لكن انتباهه تركز على الفتاة الجالسة في أقصى طاولة عن يمين العريسين.. لم ترمشْ عيناه بعد أن وقعتا عليها فقط توهجٌ وسحابة غمامٍ قد حطتْ عليهما. خاف أن يُغمضَ الجفنَ هولا أن تسقطَ الدمعة!! في نفس اللحظة مر الشريط سريعا واندثر سور النسيان المتهالك أصلا رغم مرور السنوات وما حملته من آلام قد سلبت منه جميع أحلامه وحتى أبسط أوهامه لكن جدوة حبه لها لم تنطفئ يوما.

نظرةٌ غيرتْ كل حساباتهِ السابقة، نظرةٌ حركتْ ما قد سكنَ قاعَ قلبهِ الراكد. متزينةٌ بأبهى حلةٍ كأنها العروسُ المتوجةُ فزادَ تألقها وجمالها عن آخر مرة رآها نيرانَ الولعِ المتقدةِ سلفاً.

دامتْ مدة الفراقِ ثلاث سنواتٍ وبضعةَ أشهرٍ حتى التقيا في ذلك العرس. لم يتحدثا منذ تلك اللحظة وانقطعت اخبار الكل مما ساعد على النسيان المؤقت. كل منهما شق طريقهُ وقتها وكلٌّ منهما قد أوجدَ لنفسهِ مكانةً مهنية محترمة. أما عن حالتهما الاجتماعية فهو لا زال أعزبا لا يعدو الارتباط بالنسبة إليه مجرد وسيلةٍ لإمضاء الوقتِ ريثما يلتقي فتاةَ أحلامهِ المنشودة، أما هي فقد صارت حذرةً تختارُ الأمانَ عوض المخاطرة، تقدم لخطبتها مهندس يكبرها ب خمسةِ أعوامٍ فوافقتْ على مضضِ ألمِ الجرحِ الذي لم تنسَهُ يوما.

خفتَ الضجيجُ وبدأ المدعوون بملاحظةِ الحضورِ ومثلهُم قد فعَل، فلمحتْ عيناه وجهها المشرق في أقصى طاولة من الحفل. عادتِ الذكرى وعاد الجرح في نفس اللحظة فاعتراهُ ارتباكٌ واضحٌ لم ينجُ منهُ إلا حينما غادر القاعةَ وهو يتصبب عرقا ساخنا زادتهُ توترا على توتر. سارَ دون اتجاه فعينُ قلبهِ استعادت كل ما خبأتُهُ من لقطات سعادةٍ، والقلبُ قد غطتهُ صورة ضحكتها الخجولة حينما اعترفت لهُ بحبها أول مرة، أما دماغهُ فكان يفكر في لحظة واحدة :لحظةَ وداعهِ لها وخذلانَهُ المعهود.

بضعُ رشفاتٍ من الماء البارد لم تستطع إخماد الثورة، تحولت لنهرٍ دافقٍ حينما وضعَ رأسهُ تحتَ الصنبور أملا في الاستيقاظ من حلم مزعج، بالكاد استطاع تجاوزِ الأمرِ في غيابها فكيفَ له على تحملُ وجودها طيلة الليلة.

توالتْ لحظاتُ الصدمةِ تباعا حتى أفاق منها دون سابق إنذار، استجمع هندامه وأعاد ترتيب المنظر وعاد بخطوات متباطئة نحو القاعة، دخل من الباب وتعمد إطالة النظر نحو أقصى الزاوية. ينظُرُها وهي حادرةٌ رأسها في استحياء غيرِ مُصْطَنَع بجانب زوجها وخفوت الضوء الأزرق المنبعث من المصابيح

المتلاعبةِ زادها توجها بريئا أدمى قلبهُ منذُ تلك اللحظة. وما إن همَّ بالوصول حتى رفعت رأسها نحوهُ بعفويتها المعهودة والتقت عيناهُ بعينيها المشعتين.

ندب حظه العاثر وضحك على جبنه الذي غير مجرى حياته. بكى في صمت وكتم حرقة قلبه في داخله ونقل بعدها نظراته نحو أقرب أنثى لها لعله يجد بعض ما يواسي به هول اللحظة التي مر بها توا.

مذكرات مختل عقلي

عقدتُ لساني وأحجمتُ عن الكلام، لم أعد أقدر أن آخذ مبادرة الحديث مرة أخرى لعل ذلك لدرايتي بخاتمتها. وأنا بطبعي أكره النهايات البائسة.

كانت الكتابةُ خيرَ مهرب لي، فكنت أطلق العنان لقلمي موكِلا إليه مهمة الإفصاح عما يجول في قلبي دون أدنى مقص رقابة. كان لا يتوقف عن التدوين ولا يعجزُ عن التعبير إلا لماما.

عدتُ لفراشي بعدَ عناء. أحاول إكمال رسالتي إليكِ وجفوني تتوسدُ عينيَّ وأصابعي لا تقدر على التحكم في مسار القلم من شدة التعب، والدماغُ توقفَ عن إصدار الأوامر فصار مغيبا عن وعيه، والعقلُ لا أعلمُ إلى أينَ انتهى بهِ المصير، أما القلبُ فلا داعي للحديث عنه. رغمَ متعةِ العين، ومتعةِ ما شاهدَته من مناظرَ تفتحُ الخاطرَ وتجعلُ النفْسَ تتمنى وجودكِ حينها حتى تزيدَ المتعةُ متعةً، رغمَ ذلكَ كله لا زال العياء واضحا. لمْ أكتبْ

يوما كلماتٍ تحملُ بين طياتها هذا القدرَ من التعب والعناء، لكنها تحمل أيضا من الصبر قدرا أكبرَ منه. لم أتعود حقا على الكتابة في ظروف مثل التي أعايشها وأنا الذي كنتُ أجدُ نشوةَ الرواية في طقوسها الخاصة. اعتذرُ فقد فقدتُ خطَّ الأفكار وفقدتُ بوصلةَ الإبحار في التعبير حتى غدوتُ خائفا من انفلات الكلماتِ التي لطالما اخترت غض الطرفِ عنها دونما أي اكتراث. اعتذرُ مسبقاً وطواعيةً إن فكَّتْ احداها القيود.

كلماتي لكِ الآن ستقرئينها لأولِ مرة، لأني لن أتكلمَ عن شعوري نحوكِ، ولن أعيدَ على مسامعِكِ كلماتٍ تحملُ رغباتٍ في أمل لقاء، هي كلماتٌ تتساءلُ أ حقا ستلقى الاحترامَ الذي تستحقهُ غير عباراتِ الشكرِ المعهودة؟ حقا إن الكتابةَ لصعبةٌ وعيونُها نائمةٌ، وعينُ قلبيِ مشتعلة.

استيقظت باكرا بعدَ ليلة متأخرة، قضيتُ معظمَ يومي مشغولا بالعمل، تنقلتُ عبر مختلف الوسائل واختلطتُ بأقوامَ متعددة. لكنَ عقلي كان مركزا على تساؤل واحد :ما الذي يمنعها عن ملاقاتي؟ سؤال يتفرعُ لعدة تساؤلات كَ :أ أنا بشعٌ لهاتهِ الدرجة؟ لا أعتقد ذلك وإنما ألتقتني شفقةً واحسانا. أ مزاحي ثقيل أم أن

كلماتي مسمومة؟ أم جلدي يحملُ جيناتِ مرضٍ خطير؟ أتساءلُ فأجيبُ فأتساءلُ عن الجوابِ من جديد وأجيبُ مرة أخرى. لكن النهاية كانت سؤالا واحدا قضيتُ طريقَ العودة كاملة في محاولة الإجابة عليه :ما الذي سيجعلكِ ترغبينَ أنتِ في ملاقاتي؟ بطريقة أعمقَ أطرحُ سؤالي وأنا كلي موضوعية بل من باب الفضول :ما هي معاييركِ فيمن تريدينهُ رفيقا لحياتكِ وما الذي قد يلفتُ انتباهكِ ويجعلكِ أنتِ المبادرة؟ أعلمُ أن الحياة مليئة بالمشاغل لكن أ مجرد جلسة عابرة أصبحت من ضرب الخيال؟ وإن كنتُ بهذا الأدبِ والظرافة حسب قولكِ ولم أحظَ بعدُ بتلكَ الفرصة، أيتوجبُ علي إحياء الديناصورات إن تمنيتُ إكمال الحياة معكِ؟؟

عذرا فكلماتي المربوطةُ دائما ما تلبسُ لباسَ الهزلِ والسخرية. لكن الأهم ألا ينقلبَ الهزلُ عليها بكلماتٍ حفظتها عن ظهر قلب. فالشكرُ لكِ وأنتِ الروعة .بسببكِ صرتُ مبدعا وغدوتُ كاتبا ماهرا. أنتِ جوهرُ الموضوعِ وسببُ بقاء العقلِ مستيقظا حتى وإن كنتُ غارقا في النوم!

قلم منكسر

حين يكتفي اللسان عن الحديث ويجف حبر القلم وتشتبكُ خيوط الأفكار في العقلِ وينقبضُ القلبُ لمجرد الذكرى، أحن لغفوتي التي تنسيني من أنا. أغمض عيني فأسافر لعالمي الذي لا طالما أحببته أن يكون حقيقتي لكن النور المظلم يخيمُ على غرفتي حتى يهرب بحلمي فأعود لما كنت عليه. ذكريات وضجة في داخلي؛ بكاء ونحيب؛ شجب واتكال ولوم أقرب صديق. لا تظهر نجوم السماء ونوري حتى أكاد أموت من العذاب. ثم أعود الى حلمي أنتظر سُكَّرَتِي لتأخذني بعيدا بلا حلم ولا ذكريات.

مازلت أستيقظ على صوتكِ المخيف، مازلت أسمع صوتكِ، مازلت أرى صورتك في أحلامي. لا أستطيع تذكر ملامحكِ لكن أؤكد لكِ: يوما ما سألتقي بكِ وأقسم أني لن أرحمك .

الحب شعور وهمي يقابله إفراز لعنصر كيميائي حقيقي يعطل العقل ويهيج الخيال والمشاعر. أما الكره فهو عبث وضياع لا ربحَ ولا فائدة ترجى منه.

أحبوا بعضكم يرحمكم الله!!

أعطيك من الورد باقة
تحمل من قلبي بطاقة
مني إليكِ أهديك عطري
ونسيم روحي بكل أناقة.

إليكِ يا من حَرَّكَتْ كَيانِي
وجَعَلَتْنِي أعيشُ في الأَمَانِي
أن نعيشَ معاً أزهي أيامِنَا
يا من عشقي إليها رمانِي.

أنت من سلَبْتِ عقلي وفُؤَادِي
أنتِ منْ أَصْبَحْتِ حِصْني وملاذي
أنا بدونك انسان لا وجود له
أتيه في صحاري العشق البعاد.

نسمة عطر مني إليكِ سيِّدَتِي

إليكِ منِي حبي، أُنْسِي ومَوَدَّتِي

أهديكِ حياتي إلى منتهاها

أُعْطِيكِ أيضا قلبي ومحبتي.

أنت كنسمة أرض بعد المطر

أنت كإناء عطر قد انشطر

تعم نُسَيْمَاتُهُ المكان

تُشْفِي غَلِيلَ قلبٍ قد انفطر.

هلوسات خفيفة

العبثُ هو أن تجعلَ من كثرة العدد هدفا، أن تتباهى بالرقم وتكد من أجل رفعه أن تبحثَ دائما عن المزيد رغم المتوفر وأن تنشد الكثرة والثرثرة وتنأى عن المتعة التي عندك!

الذلُ هو أن ترمي نفسكِ لزاهد فيكِ مرتين. الأولى تُحسبُ لكِ فالمروءة فتاةٌ تعترفُ لكن التحسر عند توالي المرات!

الجهلُ أن ننسبَ كل الأشياء للقدر وأن نتغافل عن دورنا المحوري. أن نلعن فشلنا ونرد أسبابه للظروف والمجتمع والغير كأن لا حولَ لنا ولا قوة به وأن نتملص من المسؤولية ونرميها على الطرف الآخر مهما كانت الأعذار واهية!

الغدرُ إنسانٌ آمنته على سرٍ ولم يوفهِ حقه. هو وعد أعطي في لحظة ضعف ولم يتعهد به صاحبه. هو رجاءٌ ووفاءٌ لم يستمرَ

سوى لدقائق معدودة. الغدر هو تناقضاتُ مجتمع أعمى الطمعُ بوصلته فأتلفها. هو أحكام مزدوجة لم يعد يتقبلها عقل بشري!

التصالح مع الذات نعيم وسط جهنم. هو غض طرف وتغاضي عن مجموعة من الأشياء التي تؤلم وهو تسامح مع الآخر مهما كانت ردة الفعل. هو أسلوب حياة وطريقة عيش فعالة لمن أدرك المعنى وابتعد عن الحفظ عن ظهر قلب!

العمقُ وقمة الحُمقِ هو عندما تصير صفحة الكلمات المتقاطعة أكثر صفحات جرائدنا المتهالكة متعةً وإفادة واستفادة!

مجرد خربشات

كفراشة انطلقت تبحثُ عن سراب ضوء النهار هربا من فراغ الظلام. كشُعلةِ شمعةٍ توهجتْ واشتدَ توهجها بعدما انطفئت جميع الأنوار ونامت كل العيون.

كان يناديها دائما بفراشته ولطالما أحبت اللقب. سبب تسميته لها بهذا الاسم راجع لعادتها في المشي فهي لا تمشي مستقيمة بل تمشي بتلاعب سريع ومتناغم تخطو معه خطوات كبيرة كأنها تريد الرقص في وسط الشارع. تمشي وتنظرُ هنا وهنالكَ ولا أحد يلفتُ نظرها غيره .

ترفعُ عينها فتراه محدقا بها فتخفضهما بخجل، كان هذا حالهما وعندما تنظرُ أطفالا يلعبون الكرةَ تتركهُ وتذهبُ بعيدا تلهو معهم دون أي تدخل من ناحيته وعندما كانت ترجع لاهِثَةً يأخذها

متجها نحو المقشدة القريبة وعشرة دراهم جل ما يستهلكه اليومُ معها ولا زال اليومُ طويلا.

كانا يقصدان منتزه المدينة الوحيد وحينما يجدانه مقفلا يقصدان المدينةَ ليَتِيها وسط أزقتها الضيقة. أزقةٌ تضيقُ وقلوبٌ ابتعدت عن التحقيق وألسنة اختارت البعدَ عن التدقيق. كلامٌ وكلامٌ وراءهُ إلى أن تنتهي الرحلةُ الممتعةُ وتتجددَ الرغبةُ في المرةِ القادمةِ منذُ لحظةِ الوداع.

إن أسكنتَ فراشةً فقصا فستهربُ لا محالة وإن وضعتها في وعاء ستنفُقُ وتموتُ اختناقا. أما إن أسكنتها قلبكَ فلتمنحها الحرية. حريةَ التنفسِ والعيشَ بسلام!

هلوسات ليلية

لم أسمع والدي يوما يقول لوالدتي كلمة "أحبك"، قليلة هي كانت لحظات الغزل المتسترة لكنني رأيته يمسك يدها عند تقاطع الشارع دون وعي.

لطالما تغنت والدتي بأن رجلها هو أب أولادها ولم تعترف يوما أنه حبها الوحيد، لكنني رأيتها تسهر الليل تحيكُ وتخيطُ وتعينُ رب الأسرة دون أدنى تذمر.

الحب يا أصدقائي أفعال لا أقوال. الحب حياةٌ واقعية مادية في وقتنا الحالي وليس خيالا خصبا في عالم افتراضي محض.

الحب ليس مجرد كلمة بل هو فعلٌ مقرونٌ بمشاعر صادقة.

الشغفُ هو ما يجعلنا أحياء

وبدونه لا حياة ولا بقاء

والملل والروتين شقاء وعناء

حتى لو كان بين العشاق والأحباء

هي الشغف وشَظَفُ العيش ولها القلب وحدها رفرف!

تسري الحياة معها في حياتي والقلب عن غيرها تعفف

في الأرض معا، معا في السماء...

ننسى الدنيا معا...

وننسى كل الأسماء...

أنا وانت وحيدان...

ننسى الدنيا.. فريدان...

نعشق بعضنا حتى الممات..

عن أروع قصة ... شاهدان...

على طريقتي الخاصة

على الأقل أفعل الأشياء وأقول بعدها :لقد فعلتها بطريقتي سواء كانت صحيحة أم خاطئة. فذاك ليس بالمهم بالنسبة لي. المهم أن أكون مالكا لإرادتي ومتحكما بزمام حياتي بعيدا عن كل تدخل أجنبي سواء كان مجتمعا أم عائلة. أن تستمع لنصائح غيرك ذاك شيء، وأن تكون عبدا متبعا لملتهم ذاك شيء آخر. فلا ضير من التعلم والاستفادة من تجارب الغير لكن لا تنس أن تعيش تجربتك الخاصة.

فحتى في حالة الفشل يوجد دائما فوز. ستجد على الأقل ما تحكيه لأولادك من بعد، فهم يحتاجون لمعرفة زلاتك قبل إطراب آذانهم بصدى نجاحاتك.

كلُّ شيء صار مرّاً في فمي

بعدما أصبحتُ بالدنيا عليما

آه من يأخذُ عمري كلَّه

ويعيدْ الطفلَ والجهلَ القديما

حكيم او عليم.. ذاك أقصى فهمي

وقد صار عبئا على كاهلي ثقيلا أليما

حزن يخيم على يومي في جله

بجهل صار أمامه علمي عديما

خربشة سريعة

قال لها بعد سكون مهيب :

"يا ليتني لم أصادِفكِ منذُ البداية ، على الأقل سأكون مرتاح البال هَنِيَّ المَنَام !! أمَّا وقد التَقَيْنا مرةً فما لكِ إلا أن تقرَئي على روحي أسرعَ سَلَام !!

أجابتْهُ باطمئنانٍ وبصوتٍ خافت :

"و لِمَ تقولُ هذا الآن !! كنتَ قد فكرتَ بهذا حينما سَاقَتْكَ رِجْلَاكَ إليها تَتَصَيَّدُ منها نزوةً عابِرَة!! تا لله لقد اكتفيتُ من شِيَمِ رجالِ وقتنا وكم أحِنُّ لرجولة الأجيال الغابِرَة!! أَ ضعفٌ عندكم معشرَ الرجال إن أَحَبَّتكُمْ النسوة؟ ستعرفُ حتما يا حبيبي من الأقوى بيننا: ذكرٌ خائنٌ أم زوجة وفية!!

كلمات في البال

في البال وإن غابت أعيد تكرارها آلاف المرات في ذهني ولا أنفك أذكرها في أشعاري. فهل حقا هي ساكنة بالي طيلة اليوم وإن كانت بعيدة عني أم ذاك فقط مما يتخيل لي:

سكنت القلب والروح فقررت البقاء

في كل لحظة أذكرها ولذكراها أشتاق

تغيب عن البال برهة فيقع في الهم والشقاء

قررت العيش معك يا صغيرتي.. يا حلوة المذاق

كلماتي حارت في وصف المشاعر

كلماتي خانتني فما عدت بقادر

على وصف شعوري لك يا بنت الأكابر

ذاك وعدي ولتحقيقه سأكون خير مثابر

يا من سعادتي في قضاء باقي حياتي معها

يا من أحببتها فأحببت عائلتها ومجتمعها

يا من عرفت معها معنى الحب والعشق والغرام

يا من جعلتني أتسائل: هل الحب حقا حرام؟؟!!

لكن ومهما وصفت لكم حنيني لها ومدى الشوق

فلن يصل لدرجة حبها لي واشتياقها لي

قد فتحت قلبها لي فقط بعدما أحكمت اغلاق الطوق

فبقدر اشتياقي لها.. فهي تشتاق لي أيضا

تحبني حبا اعمى كرحيق زهر ينتشر فيضا

خربشات ليلية

لمحتُكِ ذات مرةٍ من بعيد. تجلسين وحيدة في أقصى ركن من مقهانا المعتاد، تبدينَ سعيدة ولا تكترثين مثل عادتكِ المعتادة.

كنتِ تبدين سعيدة، أعرفكِ جيدا فقد كنتُ سعيدا معكِ ذات يوم من قبل !!كنتُ سبب تعاستكِ ولم يجرحكِ أحدٌ كما فعلتْ.. لم يحبكِ أحدٌ أيضا كما فعلت.

أجلسُ في غرفتي وحيدا وأرمي نظراتي لأقصى زاوية. فكل ركن من أركانها يذكرني أنني قد كنت سعيدا يوما ما.

وقد علمتني الحياة أن أمحي زمن الماضي من قاموس معجمي اليومي. لا بكاءَ على الأطلالِ ولا نواح، فما مضى قد صار من الماضي وإن ظلت الذكريات تعاندُ أملا في إيجاد مكان لها في الحاضر. لكن خوفي من أن تحتل مكانة أكبر من المسموحة.. فماضي القلب يُكْتَبُ بحبرٍ لا يمحى بسهولة.

للقلب اختيارات عجيبة

ينغلق في بعض الاحيان

وينطلق تارة أخرى ملحا مجيبا

يأتي مرات مهتما ملبيا مطمئنا

ويتخد مرات مواقف مريبة

يفتعل مشاكل غريبة!!

تارة

ويلزمك دائما بجنبك قريبا

لكن

ما إن تلتقي من تستكين لها روحك

من تحبك وتعشقك وتدعم طموحك

يستكين القلب ويتأكد من الاختيار

لا محيد ولا مجال للتراجع عن القرار

لا مجال للريبة أو الشك أو الإحتيار

فقد وجدت من ترافقك وتصون الأسرار

قد تلتقيها صدفة في الحافلة أو الساحة

في مقهى أو مكتبة أو حتى وسط باحة

في القطار أو الحافلة

لا يهم ذاك في شيء

المهم أنها

هي وحدها من ستعطي لقلبك مهلة استراحة

سر الحياة

الشغفُ سرُ الحياة وهو ما يجعلنا نحسُ بنبض الشرايين وسريانِ الدم في العروق. قلمي قررَ أن يحكي قصة شغفه لكنه أجبنُ من أن يفعل ذلك صراحة. لقد وضعتها بين أسطرِ أغنية جميلة :

طال الأمدُ وانتظرَ مرتِ الأيامُ متواليةً

لا فرقَ عندهُ بينَ الجنةِ والسَقَر

إن غابتْ عنِ العينِ عندهُ، فلن يعوضها من حضر

عاد بالذاكرة قليلا إلى الوراء

تذكرَ أيام الودِ والمحبة وأيامَ الجفاء

لم ينسَ يوما نظرةَ الخجل على المحيا ونظرةَ الحياء

ذاتُ الخمارِ طفلةٌ قد جعلت العقلَ يذهبُ مع الرياحِ في هباء

وجهها عندما رآهُ من أبدعِ ما صَوَّرْ

سبحانهُ خلقَ ما مَتَّعَ العينَ ونظَّرْ

بياضٌ خالصٌ واحمرار الثغرِ مُسَطَّرْ

قد سلبتِ العينَ والقلبُ قد تأسفَ وتعَذَّر

خربشات ليلية

انطلق في الحديث في محاولةٍ أخيرة لإقناعها بواقع الأمر:

"الحياة يا حبيبتي عبارة عن سلسلة لا تنتهي من المآسي تتخللها فواصل إعلانية قصيرة من السعادة. وعلاقتنا فاصل قصير، وإن طال وقته لا بد للمأساة أن تقع في الأخير."

سال دمعها على الخدين واختلط باللعاب المنفلت من جوانب شفتيها. فكاها لم يتوقفا عن التصادم وأنفها بدأ بسيلانه المالح:

"أنتَ الذي قلتَ لي من قبل أن لا حياة لك من دوني " .

زعزعته قساوة الجملة ووقعها على قلبه.. يعلمُ حقا أن حياتهُ من دونها لا تساوي شيئا البتة. تعايش مع مرضه بسبب حبها له لكنه يعلم نهاية المصير. قد لا يقتله المرض في الحاضر القريب لكن ألمها بسببه حادٌ لم يستطع على تحمله يوما. لعله تفاجأ بوقوفها بجانبه حينما انفكَ من حوله الجميع أو لعل حبها له في أسوء اللحظات عندما ظن أن رهانه عليها رهان خاسر مصيره الرحيل كباقي الأحبة، لكنها عكست توقعاته وعكست ما كانت روحه تتمناه.

بعد لحظة السكوت الطويلة أسكتها بجملة واحدة :

"سأجدكِ يا حبيبتي في الحياة الأخرى" !!

رسمتك بالفؤاد على فؤادي..

وفي عينيك قد رُسِمَتْ بلادي...

وربطت مصيرك بمصيري...

وأشركتُ اعتقادك باعتقادي...

ورسمتك باجتهادٍ غير أني...

عرفتك صدفة دون اجتهاد....

ومذ عرفتك ما عادت لي...

قدرة على بعد عنك أو ابتعاد..

هلوسات ليلية

لا شيءَ مميزٌ فيها سوى أنها مميزة عن باقي النساء. لا جمالَ يفتنُ ولا عقلَ يحيرُ لكني لا أرى سواها من النساء. بحوزتها شيءٌ مميزٌ ليس متاحاً لكل النساء. قد اتخذتها عشيقةً وحيدةً وخليلةً مؤنِسةً طيلة رحلة الحياةِ كما اختارتني فمالي وما للنساء.

لم أكفَّ يوما عن محاولة مغازلتها والتقرب منها لكن الصدَّ كان نهايتي المتوقعة دائما. نظمتُ في حقها الشعرَ وأجملَ القصائدِ فكان جوابها قافيةً حافية. اتصلتُ مرارا وتكرارا وأبدعتُ في ايجادِ الأعذار حتى حفظتُ النغمةَ عن ظهر قلب، اعترضتُ طريقَ عملها بل وأصبحتُ كحارسٍ شخصي لكن رفضها لي لم يتغير !!

لم أتمالكْ نفسي حينما وصلتني رسالةٌ من صديقتها تلك الليلة، رسالةٌ تحملُ رسالةً منها وهي تتحدث عني دون دراية منها. . عدتُ أستمتعُ بامتناعها بعد ذلكَ بل وأشمُ فيه رائحة الحبِ الزكية. أحيانا نلتقي الأشخاص المناسبين في الأوقات الخطأ؛ كان ذلك مبدأها في الحياة، لذلك كانت تنتظرُ الوقتَ المناسبَ لكي أصبحَ الشخص المناسبَ القابعَ في عمقِ القلبِ المناسب.

حسناً فعلتْ بتمنُّعِها وحسناً فعلتُ بالصبرِ على ذلك، وحسناً فعلَ القدرِ بتوحيدِ مصيرَيْنَا كذلك.

أهديك أغلى ما عندي يا سيدتي...

أهديك كلماتي وشعري وكذا مودتي...

أهديك عقلي وروحي وكل كلي...

أهديك حياتي وقلبي وكذا مسرتي...

فأنت من سطع نجمها في سماي فتألق...

كبر حبها شيئا فشيئا فتجبر بعدما تعملق...

فصارت جزءا من حياتي التي أعشيها..

وملكت القلب فصار كطيف قد تعطر وتأنق...

أقولها وبكل جهر..

بكل فرح وفخر..

حبي لك هو نبع الحقيقة..

هو فعلا أحاسيس رقيقة..

أود لو أني أظل أتغزل بك طيلة الوقت...

أن أقول لك يا حلوتي الصغيرة لك اشتقت...

يا جميلتي ويا صديقتي الحلوة المحمرة الخدود..

ذات العيون الكحل التي تخترق الحدود..

كيف لي ألا أتغزل بشعرك المنساب بكل أناقة..

وألا أتغزل بجمال حلوتي وألا أهديها بطاقة..

تحمل كلمات ترقص فرحا بما تحمله من طاقة...

تذوب عشقا في وصفي لك فتغار منك..

من فضلكم أوقفوها قبل أن ترتكب أية حماقة..

"أنت كحلم جميل لا أرجو منه استفاقة...

أنت كنسيم عطر منبثق من أحلى باقة"

"أنت فقط يا حبيبتي من حركت المشاعر...

أقولها لك كروح تعشقك وليس ككاتب أو شاعر:

""أحبك و سأظل أحبك و لن أمل من حبك...

وكلما حاولت كرهك زدت في حبك...

وكلما ابتعدت عنك زدت تعلقا بك..

وإن غبت عن بالي فقلبي لصيق بك""

خربشات ليلية

إن كنتُ شاعرا فأنتِ حتما أجمل قصيدة قد نظمتها، وإن كنتُ كاتبا فأنت بكل تأكيدٍ حبرُ كلماتي المتواصل.

إن كان لكوني مركزٌ فأنتِ القلب والمركز، أنت الجاذبية وأنت من تحدى كل قوانين الجاذبية، أنتِ العاصفةُ وأنتِ الغيوم وأنتِ السحابُ في صفاءهِ وزرقته.

أنتِ الحياةُ وحمرةُ شفتاكِ مغيبٌ وأمنيتي أن تصيرَ كلُّ أيامي غروبا متواصلا لا ليلَ ولا صباحَ. ثغركِ عسلٌ شهي وشهدٌ يتوسدُ شفتايَ بكل انشراح. أرى شفتيكِ فتتداوى كلُّ الجراح.

رياح الخريف علينا حلت وطارت

أقبلت علينا مسرعة وببردها أغارت

حملت معها قطرات ندى منها عشقي غارت

لمدى حبي لها

فهي من امدتني طاقتها وأعارت

طلبت ودها وحماها فرحمتني وأجارت

طلبت رفقتها وطلتها فكنت أنا من اختارت

رافقتني رغم أني لست بزيد أو بحارث

وصادقتني رغما عنها فحارت

فكيف لمن لا تخشى العواصف إن هي ثارت

جابت الجبال صمودا حتى وإن هي استدارت

أن تتذلل لي وتهدأ كأن قواها قد خارت

وتستكين في حضرتي بعدما جارت

قصة من سطرين

قال لها :

"تبدين في حالة جيدة بدوني "

رمقتهُ بنظرة احتقار تصاعدَ معها الدم حارا نحو وجنتيه، سكتتْ بعدها لوهلة وأجابته مع ابتسامة صفراء تعلو محياها :

"صحيح ، فقد افتقدت الحزن و الألم مذ رحلت على حين غرة ، لم يعد أي مصدر للحزن في حياتي بعد هروبك ."

لم يتوقع أن يكون الرد جارحا بتلك الحدة، فقد عهدها متسامحة مع حماقاته التي لا تنتهي، لكنه تأكد أنها ستكون حماقته الأخيرة .

قال لها :

"ارتاحي و استرخي يا صديقتي الحلوة ... دَعي لعبَةَ القدرِ تأْخُذُ مجراها ."

أجابتْهُ مُتأَثِّرَة :

"خوفي عليكَ من القدرِ لا عَلَيْ ."

اسرعَ مبادرا بالكلام كأنه يريدُ وضعَ خاتمةٍ للمحادثة :

"إن عَنَيْتِ ذلكَ فسيكونُ لكِ ، فقط دعيهِ يحدثْ."

لم تستسِغْ طريقة انهائه للحديث فأجابتهُ محتجَّة :

"تريدُ أن تعرفَ ما سيحدث ؟ تعالَ معي ولنُسافرْ لمكانٍ بعيد. لنَبدأ من جديد ولنر ما سيحدُث."

أتَمَّتْ كلامَها بلهجة ساخرة:

"لَكَمْ تتوهَّمون أنكُم أذكياءُ معشرَ الرجال ."

أجواء مشحونةٌ زادتِ التوترَ توهجاً فصار سيدَ الموقف. أدركَ أن وقاحتها تُخفي جروحا عميقةً عُمقَ سنواتِ غيابه عنها.

قرر حينها أن يخوض قليلا في تفاصيل حياتها فسألها بعد هدنةٍ موقوتة :

"دعينا من الكلام التافه. كيفَ هو حالُ قلبِك الآن؟

أجابتْهُ بعفوية سريعة كأنها توقَّعَتِ السؤال:

"آه لو تدْرِي كم عانى هذا القلبُ و كم جُرِح من مرة. بضعُ حمقى تكفلوا بالمطلوب فتركوا احتراما حقيرا لصنف الرجال."

كلكُم حمقى ومتوهِّمون ... كلكم سواسيةٌ وأغلبُكم متعجرفون!

استرسلتْ في الحديث بكل تلقائية :

"لن أكذبَكَ قولا أو أجامِلكَ فقط لانتمائك لذلك النوع ، لكنني سئمتُ الحبَ المزيفَ و الاهتمامَ الخادع. مللتُ المقاومةَ فاستسلمتُ لخيارِ التعميم ولا أرى فيكَ الاستثناء ."

أخذَ يُقَلِّبُ عينيه في السماءِ علها تنقذُهُ بوحيٍ منزَّل. فصاعقةُ كلماتها قد تغلغلتْ عميقا وتركتْ صدى قويا شَوَّشَ على تردُّدِ أفكارِه الهادئ.

بعد لحظةِ تيهٍ أمسكَ يدها بقوة وضمها إليه حتى سكنتْ أنفاسُهُ باطنَ رئتيها. رفعَ ذقنَها المستَوِيَ للأرضِ فتقابلتْ عيناهُما وتصافَحَتْ شفتاهُما بعد طول غياب. عناقٌ حارٌ انهمرتْ معهُ دمعاتٌ حارة سالتْ غزيرَةً على لحيتِه الكَثَّة.

همَسَ في أذنها اليمنى بكلام من القلب تركَهُ يأخذُ زمامَ الأمور:

"لا داعي لِنَذْهَبَ لأي مكان، اتركي قدمَكِ الجميلة تتبعُ قدماي، و أعِدُكِ حينها أنكِ لن تسيري وحيدة."

لنستمتعْ بحياتنا معا وستكونُ الأمور على ما يرام، فقط دعيها تتخِذُ مجراها الطبيعي. واعلمي أننا قد ننجحُ و قد نفشَل، قد

نخوضُ التجربةَ و من الممكن جدا أن نتحاشاها، لكنكِ إن عَنَيْتِ أننا أكثرُ من مجرد اصدقاء فلن أتركِ بعدها و لو للحظة."

أجابتهُ بهمسة مماثلة :

"قد عنيتُ ذلكَ أيها الاستثناء الوحيد ".

آخر الهلوسات

لطالما أخشى أن يتغلب قلبي على عقلي في لحظة الحسم. هو همي الأوحدُ ومبعثُ خوفيَ الوحيد! لعل ذلك راجع لارتباطه دائما بذكرى أليمةً كسرتِ الروحَ وجعلتْ جبرَ الخاطرِ مهمةً صعبةً، وصنعتْ من الثقة عملةً نادرة.

هو همٌّ خفيٌّ قلّما عاينتُ همومَ. مراتٌ قليلة من قبل انتهى فيها النزالُ بغلبةِ كفةِ القلب، انتهتْ في جميعها مكسورا بدونِ مدامع.

ما إن أغادر منطقةَ الأمان حتى أراني سائقا متهورا أجري نحو معذبي. أزهو وأفرحُ بانتصار القلب على صلابة حواجز المنطق اللعينِ لِعقليِ اللعين. أه ولو تعرفون كم أعشق سهرَ الطواعيةِ عن طيبِ قلبٍ لتمنيتمْ لي وله دوام الفوز فحينها أعلم أن النومَ لن يعلو جبيني ولو كنتُ طريحَ المرضِ الخبيث. هو سهر أتهجدُ فيهِ هَوايَ المخفِيَّ وما أُداري داخلَ بواطنِ الروح، وهو ليلٌ يسيلُ فيه مدادُ قلمي غزيرا فتغدو خربشاتي قصصا وخواطري تتمددُ فتصبحُ قصائدَ شعر عذري يحفظُها القلبُ عن ظهر قلب!

وحينَ أطلقُ العنان لقلبي متجاوزاً عقلي تصيرُ كلماتي سهاما حادة. سهامٌ تنغرزُ في قلبي فتُصدِرُ ألماً عميقا وإن كنتُ أمُرُّ بأسعدِ لحظات حياتي.. فمجرد استحضارِ أن الأمرَ سببُ خيبةِ العمرِ لهو أمرٌ يدعو لأخذ تنهيدة عميقة تنتهي بنفسٍ حار أُحِسُّهُ لهيبا يُمِيتُ ما تبقى من شتاتِ الروح. وكما يشاءُ أن لا ابداعَ بلا حزنٍ، فذكرايَ كنزٌ وفيرٌ تفيضُ معهُ الكلماتُ دون انقطاع فتصيرُ طائشةً في بعض الأحيان وقد تخرجُ عن طوع أفكاري المرتَبَة مسبقاً. تلعبُ على أوتاريَ الحساسة وتجعلُ قلمي يقتربُ من الكلمات المحرمة والخواطر الدفينةِ في باطن القلب. دائما ما أقول أنني أخشى خواطري ودائما ما تجيبني بالتشجيع.

محتوى الكتاب

بطاقة الكتاب 2

المثالية الجامحة 3

المبدع لا ينتمى 3

فوز مستحق لمبدعة كبيرة 4

لحظات قطار 5

خربشات مسائية 33

خربشات على السريع 35

إحك يا شهريار 36

خربشات ليلية 39

قصة على السريع 45

مذكرات مختل عقلى 49

قلم منكسر 51

هلوسات خفيفة 55

مجرد خربشات 57

هلوسات ليلية 59
على طريقتى الخاصة 61
خربشات سريعة 63
كلمات فى البال 64
خربشات ليلية 66
سر الحياة 69
خربشات ليلية 70
هلوسات ليلية 75
قصة من سطرين 77
آخر الهلوسات 81
محتوى الكتاب 83